

رموز من التراث العربي في الخلي الأمازيغي بالجنوب المغربي

ذة. فاطمة العدام

أستاذة محاضرة في تاريخ الفن القديم

جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

Fatimaeladdam23@gmail.com

المملكة المغربية

الملخص:

استقر اليهود بالغرب منذ العصور القديمة نتيجة هجراتهم من المشرق، واستطاعوا الاندماج بفعل توفر عنصري الأمان والافتتاح، وللذان تجسدا بشكل أعمق باختيار يهود الأندلس الهجرة نحو المغرب واستقرارهم في كل الأقاليم عوض التوجه نحو البلدان الأوربية، وقد مارس اليهود المغاربة إلى جانب المسلمين العديد من المهن كالتجارة والحياة والصناعة... إلخ، غير أن صناعة الخلي وال gioaher عرفت بكونها حرفه اختص بها اليهود أكثر من غيرهم، وتمت هذه الصناعة في أوراش منزليه أو دكاكين ولقيت بضائعهم إقبالا لدى الساكنة المحلية.

أولت الجماعات اليهودية اهتمام خاص بصناعة الخلي مع دمج الخصائص الفنية ذات الطابع المحلي سواء من حيث مادة الصنع أو الزخارف فأنتجوا حلية عكس الثقافة والترااث العربي - المغربي، ويقدم الخلي الأمازيغي بالجنوب المغربي صورة واضحة عن غنى هذا المجال وتنوعه.

الكلمات المفتاحية: الخلي الأمازيغي بالجنوب المغربي، الرموز العربية في الفنون التقليدية، التراث العربي المغربي، الدلالات الرمزية في الخلي، التعايش الثقافي اليهودي-الأمازيغي

Symbols of the Hebrew heritage in Amazigh jewelry from southern Morocco

Summary:

The Jews settled in Morocco since ancient times as a result of their migrations from the East, and they were able to integrate due to the availability of elements of safety and openness in this area, which were embodied in a deeper way by the choice of the Jews of Andalusia to immigrate to Morocco and settle in all regions. Moroccan Jews practiced, alongside Muslims, many professions such as trade, tailoring, etc., However, the manufacture of jewelry and gems was a craft that was more specific to the Jews than others. This industry was carried out in home workshops or shops, and their goods were well received.

Moroccan Jews gave special attention to the artistic aspect of this craft, incorporating into their jewelry many decorations and artistic forms that embodied the Hebrew culture and heritage, and the Amazigh jewelry in southern Morocco provides a clear example.

شكل الحلي عنصراً مهماً في حياة الإنسان المغربي منذ عقود سجدة، وهذا ما أثبتته المغيريات الأثرية التي كشفت عن أقدم حلي بالعالم والذي أرخ له بـ 150 ألف سنة في مغارة "بيزمون" بمدينة الصويرة، وأظهرت المغيرات الأثرية حرص المغاربة عبر التاريخ على إبراز ثقافتهم ومعتقداتهم في زيتهم بوضع صور منحوتة (تماثيل) أو رسومات أو زخارف، ومحاكاة النصوص المقدسة باستخدام العناصر السابقة مع دمج متناسق للمعادن والألوان والأحجار الكريمة أو الشبه كريمة، وتحفظ المتاحف الوطنية وعلى رأسها متحف الحلي بالأوداية بسلسلة من القطع الفريدة والمتنوعة والمؤرخة منذ الحقب القديمة إلى الفترة المعاصرة.

ولأن اليهود المغاربة جزء من النسيج الاجتماعي للمغرب منذ حوالي 3000 سنة¹، فلا بد من استحضار أثرهم في تطوير هذه الصناعة ودورهم في إثراء الزخم الفني والتفاني في الزينة، ونرمي في مداخلتنا هذه إلى إبراز إسهاماتهم في تعزيز الغنى الثقافي المغربي في مجال الحلي، وقد اختبرنا لها كعنوان "رموز من التراث العربي في الحلي الأمازيغي بالجنوب المغربي"، وستطرق إلى محورين أساسين، المحور الأول: رموز من التراث اليهودي في الحلي الأمازيغي بالجنوب المغربي، والمحور الثاني: أنتبوليوجيا الألوان من خلال حلي اليهود المغاربة.

تشمل رمزية الحلي لليهود المغاربة المواد المعدنية و يأتي على رأسها معدن الذهب الذي اقتبس مكانته الخاصة من الكتاب المقدس حيث ارتبط ذكره بباركة الإله والقبول والرضا من رب، فكان اليهود المغاربة يضعون القطع الذهبية ضمن المدايا التي قدمت كقرابين تمجيداً لله، "فقد قدمنا قربان رب كل واحد ما وجده، أمتعة ذهب، حجولا (الخلخال) وأساور وخواتم وأقراطا وقلائد للتکفير عن أنفسنا أمام رب" (عدد 31:50)².

كانت النساء يستمددن الطاقة الإيجابية من ارتدائهن للحلي الذهبية حيث شاع بينهن قوته الحفيدة على حماية أنوثهن وصفائهم الروحي أمام المتغيرات الحياتية، واعتبرن معدنا مقدساً ونفيساً ساعدن على تدبير أمور بيتهن وحماية أسرتهن، وبه استطاعت النساء أن يظهرن رقيهن ومكانتهن الاجتماعية.

احتل معدن الفضة المرتبة الثانية بعد الذهب من حيث اهتمام المجتمع اليهودي الأمازيغي بالجنوب المغربي، وهذا راجع إلى الاعتقاد السائد بقوته وبثراه للطاقة الإيجابية في حياة مرتديه، ويعتبر معدن الفضة الأكثر تداولاً في صناعة الحلي بهذه المنطقة ارتدته النساء وكذا الرجال والأطفال، ويتميز عن الأول بوفرته وصلابته مما أتاح إمكانية التفنن في وضع النقش والزخارف المستمدّة من الثقافة العربية دون أن تتعرض القطع إلى التلف البالغ الناتج عن الطرق والنحت.

آمنت النساء اليهوديات في الجنوب المغربي بالفعل السحري والعلجي للحلي المصنوعة من الفضة، حيث ساد الاعتقاد بينهن أنه يحفظ النسل ويؤمن الخصوبة ويقوم بحماية الأبناء والأسرة، وعكس ارتداؤه لدى الفتيات الغير المتزوجات الصفاء والنقاء وإحاطتها الأنوار الإلهية، غير أن قوة التمائم المصنوعة من الذهب تكون مضاعفة بالمقارنة مع المعادن الأخرى لذلك فارتداء الحلي الذهبية كان مفضلاً لدى النساء المتزوجات.

¹ – Hind Lahmami, L'enseignement du texte littéraire à l'université : une consolidation du levier juif dans le paysage interculturel marocain, p.134 (Site électronique : <http://roma3press.uniroma3.it>)

² – الكتاب المقدس، سفر العدد 31:50

I - رموز من الثقافة اليهودية في الخلي الأمازيغي بالجنوب المغربي

حرص الصائغ اليهودي بمنطقة سوس على نحت العديد من الزخارف والأشكال الهندسية المستمدّة من التراث العربي، بعضها:

ـ ذات بعد ديني:

1)- **رأس الثور:** تحدث النصوص الدينية العبرانية عن البقرات الحمر، وأهلهما حدث ذبح النبي موسى للبقرات الحمر للتخلص من الذنب ونبيل الطهارة التامة،¹ وما زال اليهود يؤمّنون بفكرة استعادة أمجادهم بإحياء هيكل سليمان الذي سيتم بناؤه بعد ذبح البقرات الحمر، ونقدم أسفله مشبكين يجسدان رأسا ثيران.



الصورة رقم 1: مشبكان يضمّنان رأس بقر مع تشكيل خمسة زوايا بارزة على هيئة أصابع. "لوحة الخامسة" (2)-الشمعدان:

بعد الشمعدان MENORAH ضمن الأدوات التي وظفها اليهود بصفة عامة في صلواتهم واحتفالاتهم الدينية، وذلك بإشعال الشموع السبعة استحضاراً لأسباط إسرائيل، وتعتبر من بين العناصر التي أوصي بوضعها أثناء بناء الهيكل، ولدورها القدسي اشترط أن تصنّع من الذهب الخالص وإشعال النيران في كؤوس الشمعدان باستعمال أجود زيت الزيتون.²

عمل الصائغ الأمازيغي على تجسيد الشمعدان في الخلي المحلي وذلك بالاحتفاظ بنفس العدد "7" بوضع دلاليات متوجهة نحو الأسفل كما في الصورة أدناه، أو تشكيل شمعدان بثلاثة أعمدة للدلالة على النبي موسى عليه السلام الذي كان ثالث الأبناء،³ ويتمثل هذا العدد كذلك تخليد لذكرى اليهود الثورة في اليوم الثالث من الشهر الثالث العبري "سيوان"، كما يرمز لتقسيم

¹ - سورة العبرانيين، 12.11.9

² - لشجرة الزيتون مكانة مقدسة في التراث العربي، إذ توحى إلى الأمل واصطفاء الله لعباده بالإضافة إلى توجيه الإله للمؤمنين باستعمال زيت الزيتون لأغراض علاجية. (يعقوب 5: 14-15) (متى 13: 25-26) (صومايل 13: 16-17)

³ - موسى الأخ الثالث بعد أخيه هارون وأخته (العدد 3)

اليهود من طرف الرب إلى ثلاثة مجموعات: الكهنة واللاوين وإسرائيل،¹ وأيضا إلى أيام الحج الثلاث والذى يقام ثلاث مرات في السنة إلى القدس، كما أنه يخلد مناسك الفصول الثلاث: الربيع والصيف والخريف.²

إن ضم حلبي لجسم الشمعدان في حلبي المرأة يكرس إيمانها بوحدة اليهود وتعايشهم مع اختلاف طوائفهم ووظائفهم، وبوضع اللون الأخضر على رؤوس الشمعدان ستضييف قوة حمائية لحياتها وحياة أسرتها وستتمكنها من الحصول على البركة ومستقبلا مزهرا.

الصورة رقم 2: الشمعدان ذو ثلاث

أعمدة داخل حلقي القرط، مع تدلي

سبعة أعمدة خارج إطار القرطين نحو

الأسفل.



أطلق عليها **קבלה** "قبال" و "القبلة" وهي اسم مشتق من الكلمة عبرية تفيد معنى التواتر والقبول وتراث ما تركه السلف وصار من الشريعة الشفوية اللازم تطبيقها مثلما فعل النبي موسى الذي امتنع لتعليم الإله في قمة جبل سيناء،³ وكمثال ثان تحدثت التوراة عن قبول حواء وآدم العقاب عن إثemsما بقبول خروجهما من الجنة جزاء لهما عن رضوخهما لوسواس الشيطان،⁴ فأصبحت الكلمة إذن مرادفا للرضا والاستسلام لغة وبلغ أعلى درجات التصوف اصطلاحا عند اليهود، وكلما بلغ الفرد أعلى درجات التصوف يتحلى بروح "الإله"، وفي نص التوراة ورد "يهوه" هو ذا عبدي الذي أعضده، مختارى الذي سرت به نفسي، وضعط روحي عليه، فيخرج الحق للأمم.⁵

وتشخصت الكبala في الحلبي اليهودي بالجنوب المغربي على شكل خطوط دائيرية والتي تقوم بدور إسقاط الأنوار الإلهية على حاملها.

¹ - تكرر العدد 7 في الكتاب المقدس حوالي 276 مرة، ويرمز هذا العدد إلى الأيام السبعة في الأسبوع وخلق الكون في سبعة أيام، سبع سبابل سيناء وبسبع سبابل رقيقة (تكوين 41) ... إلخ، وأطلق اليهود اسم شباط Shabat على اليوم السابع المقدس والذي يمارسون فيه طقوس دينية خاصة.

² - حايم الرعفري، ألف سنة من حياة اليهود بالغرب، تاريخ - ثقافة - دين، ترجمة أحمد شحلان وعبدالغنى أبو العزم، ص. 237.

³ - جبل سيناء أو جبل الطور أو حوريب Horeb "جاء النور من قبل طور سيناء ... وارتجف كل الجبل" (خر 16:18-19:16)

⁴ - سفر أشعيا الإصلاح (42:1-17)

⁵ - حايم الرعفري، المرجع السابق، ص. 238.

دواير الكبالا أو دواير إسقاط الأنوار الإلهية

تم عملية استحضار الذات الإلهية بزخرفة القرط بخطوط دائرية

تحيط قظر الحلقة الذي تخترقه مربعات ملونة بلونين رئيسيين وهما:

الأخضر والبرتقالي مع إضافة اللون الأبيض في المركز.



الصورة رقم 3: أقراط الكبالا

4- ألواح الميزوزا:

الميزوزا أو الميزوزه وتنكتب بالعبرية **מִזְוֹזָה**، كانت تصنع قديما على شكل صندوق خشبي أو معدني، تحفظ داخله رقاقة صغيرة الحجم تحتوي على اسم من أسماء الإله وآيتين، واحدة من سورة الشماع "أسمع يا إسرائيل: الرب أهنا رب واحد" (سفر التثنية الإصلاح رقم 6 وأية رقم 4)، والثانية من سفر الخروج (... فإنك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور)،¹ وينقش على الجزء الخارجي من الصندوق الوصايا العشر أو نجمة داود، وتقوم هذه الألواح بتذكير أنفسهم بوحدانية الله، وارتبطة ألواح الميزوزاه بذاكرتهم الجماعية وال المتعلقة بخروجهم من مصر. وقد أسلفه نموذج من ألواح الميزوزه في عقد مكون من 3 طبقات:



الصورة رقم 3: عقد من منطقة إدا وسمال يضم ألواح مربعة الشكل مصنوعة من الفضة وتحترقه قطع من الكورنالين الذي يتوسط أحجار زرقاء اللون صغيرة الحجم من كل جانب. (Pierre Berge Associées, Catalogue Bijoux ethnique et art primitif, Numéro 2014, Paris

قام المسلمون من الأمازيغ المغاربة بدورهم بدمج دلابة شبيهة بصناديق يضم سورة قرآنية مصغرة خلافا عن اليهود وإظهارهم لانتسابهم الديني (الإسلام) وأحيانا دمج دلایات متعددة ذات شكل مربع شبيهة للعقد أعلاه.

5- المزامير: (الشوفار)

بعد المزمار "الشوفار" أهم الأدوات الموسيقية التي استعملها اليهود في ممارسة بعض طقوسهم الدينية، استخدم الشوفار في الصلاة وفي ترتيل سفر المزامير الذي يرتل عدة مرات يوميا أو مرة أسبوعيا حسب درجة إيمان الفرد، وكذا في بعض المناسبات الاحتفالية.

ضم الخلي المغربي صورا من المزامير والممثلة في دلایات "الأقراط" أو "القلادات".

¹ إصلاح العشرين (لايكن لك آلة أخرى أمامي)، سفر التثنية (تعلم أن الرب هو الإله، ليس آخر سواه)

الصورة رقم 4: قلادة من وادي درعة تتولى منها دلایات المزامير في الوسط وبحجم أصغر على الأطراف.



قام الصانع الأمازيغي بالجنوب المغربي بفتح العدد 7 في حلبيهم ونقدم أسفله نموذجا من إكليل مصنوع من سبع لوحات مستطيلة الشكل متماثلة الحجم ومتراصة فيما بينها تتوسطها خرز دائرة وتتدلى من كل لوحه ثلاثة حلقات صغيرة الحجم، وبعض الخرز المشتبه في وسطها يتولى منها حلقة لها نفس حجم الحلقات المدلات من اللوحات السبع.

الصورة رقم 5: إكليل مصنوع من الفضة من منطقة سوس.



ارتبط العدد 7 في الثقافة اليهودية بأيام خلق الكون والذي تم في سبعة أيام، وبتحذير الإله لنوح في اليوم السابع قبل الطوفان،¹ وبسنوات السبع سنين من الجفاف في عهد النبي يوسف،² وهي أحداث روياها مشتركة بين الديانات الثلاث.

7) - رمزية بعض الأشكال الجيومترية

* المكعب: ضم الخلي الأمازيغي بعض الدلایات التي لها شكل مكعب شبيهة بيت المقدس لمكانته الدينية واستحضار أمل العودة وبناء الهيكل الموعود.

¹ - الإصلاح 6-9، سفر التكوين

² - سفر القضاة، 6:40

* نجمة خمسة: يمثل ستارة القدس وخمسة الآبار التي تحيط فناء بيت المقدس.

* النجمة السادسية: وتدعى أيضا بنجمة داود.

* النجمة الثمانية: وترمز إلى البدايات الجديدة.

* رموز ذات البعد الوقائي: أسند للحلي الأمازيغي – اليهودي مهام علاجية وحمائية، وذلك بضمها لتمائم أهمها:

8- قيمة "الخميسة" أو "اللوحة": تعد من أقدم التمائم التي وظفها الإنسان المغربي منذ عقود سحرية، وتكون إما عبارة عن رسم أو مجسم ليد الإنسان (راحة اليد والأصابع)، وعرفت هذه التميمة في الفترة المعاصرة باسم "الخميسة" أو "اللوحة" وشهدت حضوراً واسعاً في الحلي المغربي لدى اليهود والمسلمين معاً، وعم استعماله كحلي للزينة اليومية أو كقطع توضع في المناسبات الاحتفالية.

وتأتي أهمية "اللوحة" في التراث العربي لكونها ترمز للحرف الخامس العبري "اه" والذي ينطق "هي" وهو أحد الأسماء المقدسة للإله،¹ وأيضاً للدلالة على الحواس الخمس والتي يوظفها الإنسان لعبادة وشكر الإله. كما دلت "الخميسة" على الأسفار الخمسة من الكتاب المقدس "التكوين، الخروج، اللاوبيين، العدد، والثنية". وتتجلى قوتها هذه التميمة في كون صاحبها (ها) تتلقى مساندة قوية من الله، وبالتالي يحصل الفرد جراء إيمانه وإخلاصه على الحظ والسعادة والصحة والخصوصية.

أخذت "اللوحة" صوراً متعددة ونقدم بعض النماذج منها، دلالة الخميسية على شكل لوحة متفرعة منها 5 أصابع، أصبعان على أطراف راحة اليد و3 أصابع ملونة مع تثبيت 3 حبيبات ممتلقة، وتضم راحة اليد زخارف وهي عبارة عن خطوط نصف دائرية ملونة باللون الأزرق والبرتقالي والأخضر.



الصورة رقم 6: دلالة "الخميسة" مربعة الشكل تتوسط عقد نسائي مشكل من حلقات فضية وعقيق أحمر اللون.

¹ إلى جانب "الوهيم" وإيل وعليون وشذائي ويهوه وشيخيناه... إلخ



الصورة رقم 7: حلقتان تضمان دلایة "اللوحة" أو "الخمسة"، ويتلذل من كل واحدة منهما خمسة دلایات صغيرة الحجم مجسدة "يد فاطمة".

II - رمزية الحلي من خلال الألوان

أولى الصاغة اليهود من المغاربة الأمازيغ عنابة باللغة بالجانب الفني للحلي المحلي وذلك بإضافة بعض العناصر المتوفرة في المجال المغربي كالعقيق واللوبان والمرجان والزجاج والأحجار الكريمة... إلخ، مما أضافي الخصوصية للحلي في الجنوب المغربي والمتسم بتنوع ألوانه وأهمها:

- **اللون الأحمر:** الذي يرمز للتضحية والفاء والنجاة والطاعة، وحسب معتقدات اليهود أنه لون يساعد الفرد من بلوغ السمو الروحي ومن التخلص من القوى الشريرة التي تحيط به.¹ (الصورة رقم 3 والصورة رقم 5 والصورة رقم 6) ويستعمل اللون الأحمر إما بوضع خيط أحمر يحيط معصم اليد أو ربط قطعتين من الحلي كحلقات الأقراط أو الدلایات بواسطة خيط أحمر، كما نسجل حرصهم على إضافة الأحجار ذات اللون الأحمر كالعقيق الأحمر واللوبان والمرجان.
- **اللون الأصفر:** تجسد في إضافة الطلاء الأصفر على أعمدة الشمعدان وأيضاً بإدماج العقيق والحرز واللوبان الأصفر، وتتجلى أهميته في كونه يمثل النور الإلهي الذي يتسلط على الذات البشرية، ويساعد ارتداء القطع الذهبية الصفراء اللون على بلوغ الكمال، لدرجة تستطيع المرأة مشاركتها هذا النور وبسطه على الآخرين.² (الصورة رقم 3)
- **اللون الأخضر:** ويرتبط اللون الأخضر في ذهن اليهود بالطبيعة المهدئة والجنة الخالدة. (الصورة رقم 4)

¹ إشعيا 1:18

² سفر التكوين، 2:10

● اللون البرتقالي: يعرف بكونه اللون المادي الذي يبسط السلام والطمأنينة لمناظره، هو لون عكس الولادة كشروع الشمس وأيضاً العبور نحو العالم الآخر حيث الغروب والأفول، وفي الحلي غالباً ما وظف عقيق اللبان وفي أحياناً أخرى استعمل الزجاج لصناعته وذلك بمزج اللوين الأصفر والأحمر. (الصورة رقم 4 والصورة رقم 5)

حرضت نساء الجماعة اليهودية في الجنوب المغربي على ارتدائهن أصناف متنوعة من الحلي الغني بكوناته المعدنية والزخرفية والمستوحاة من الثقافة الأمازيغية – العبرية ودأبت على ارتداء أجمل وأثمن القطع، ذلك أن التزين بما أمام أفراد جماعتها هو إظهار مدى اعتماد وسخاء الزوج بأسرته هذا من جهة ومن جهة أخرى تظهر الغنى والمكانة الرفيعة لها ولأسرتها.

إن حلي المجتمع الأمازيغي في الجنوب المغربي بين عن افتتاحه وعن حدوث ذوبان ثقافي بين المكونين المحتمليين أي اليهود والمسلمين الأمازيغ، ذلك أن ارتداؤه كان متاحاً للجميع مع استبعاد الخلفية الدينية فالمرأة المسلمة ارتدت حلياً ضمت رموزاً من الثقافة والتراث العربي والمرأة اليهودية بدورها قامت بارتداء حلي يحتوي على عناصر من الثقافة الإسلامية.

كان الحلي عنصراً أساسياً في زينة المرأة الأمازيغية دأبن على طلب صياغة الحلي والجواهر من الحرفيين اليهود أو المسلمين الذين مارسوا هذه الحرفة في أوراشهما الصغيرة بمنازلهم أو في الدكاكين، ومن الصاغة من أشرك أسرته في هذه الصناعة خصوصاً وأن التقنيات تميزت ببساطتها وتوفرها في كافة البيوت وهي في الغالب أدوات يدوية بسيطة من قبيل: إبر ومشاذب وأزاليم إلخ،...

إن ما قمنا باستخراجه من رموز في حلي اليهود المغاربة بالجنوب المغربي ما هو إلا جزء يسير من بحر غزير، يحتاج إلى تكثيف الجهود بغرض الكشف عن الكثير من الأسرار التي تختزليها المنتوجات الحرفية التي أبدع في صناعتها اليهود إلى جانب إخواهم المسلمين من الأمازيغ المغاربة.

المصادر والمراجع:

• التوراة

- Marc Alain Ouaknin, *Les symboles du Judaïsme*, CNL, 2012
- Marie-Rose Rabaté, André Goldenberg, *Bijoux du Maroc*, EDISUD, 1999
- David Rouach, *Bijoux Berbères au Maroc, dans la tradition judeo-arabe*, ACRI Edition
- Jacqueline Limoge, *Les bijoux marocains ornements par excellence depuis des millénaires, au Maroc, les bijoux sont la parure d'une pays tout entier*, Magazine Media et Culture N° 025318, Centre national de documentation, Rabat, 2003
- Josep Giralt, *Les bijoux, représentants de la culture amazighe*, Afnar/ Idées, Automne, 2005
- Marie-Luce Gélard, *Les couleurs de la mariée dans le Sud-Est marocain*, CNRS, Décors des corps, 2010
- Nicole Sebag-Serfaty, *Histoire et identité des juifs du Maroc ; « des siècles d'altérité paradoxale »*, Horizons Maghrébins, Le droit à la mémoire, N°50, 2004
- Sonia Fellous, *Les origines méditerranéennes des cultures juives. Art juif et symboles du Judaïsme : les jalons d'une transmission iconographique, Une histoire plurimillénaires*, Institut du Monde Arabe, Gallimard, 2021
- Paul Eudel, *Dictionnaire des Bijoux de L'afrique du Nord, Maroc, Algérie, Tunisie, Tripolitaine*, Ernest Lerous, Paris, 1906